فَما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سمعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَميمٍ غَيْرُ حَزِّ الحلاقِم

قال له : والله لتدعنَّه أو لتدعنَّ عِرضك ، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه [١] .

ومن هذا المنطلق دخلت مسألة الاتباع والابتداع مجال النقد الأدبي ، وهي مسألة لم نشعر لها بوجود حقيقي في الحجاز أو الشام ، أما في العراق ، حيث اللغة والنحو واتصالهما بالنتاج الأدبي ، فقد تهيأت الأسباب للنظر في الشعر من حيث الاحتجاج به خدمة لهذه الأهداف العلمية ، وكان الشعر الجاهلي – عندهم – أصلحَ لهذه المهمة فتعصبوا له ، وفضلوه على شعر المحدَثين . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « لقد أحسن هذا المولَّد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته . يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولَّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدِّمين . قال الأصمعي : جلست إليه ثماني حِجَج فما سمعته يحتجُّ ببيت إسلامي . » [٢]

لقد أيقظت مدرسةُ الرواة كالأصمعي وخلف الأحمر وأبي عبيدة وابن الأعرابي عملية التعصُّب للقديم ، فوصل هذا التعصب إلى حد غير معقول ، حتى إن ابن الأعرابي عندما استمع من بعض تلاميذه إلى قصيدة مطلعها :

وَعاذِلٍ عَذَلَتْهُ في عَذْلِهِ فَظَنَّ أنّي جاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ

فلما أتمها ، قال : ما سمعتُ بأحسنَ منها ، فلما عرف أنها لأبي تمام قال

---

(١) ابن رشيق : العمدة ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق . ج ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .